تكبير ختم القرآن
في قراءة ابن كثير
وصلته بعلوم الشريعة

بقلم
د. أحمد عدنان الزغبي
مدرس التفسير وعلوم القرآن
كلية التربية الأساسية – الكويت
جامعة الأزهر الشريف بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، **وبعد ...،**

فإن كتاب الله أعظم الكتب وأشرفها وأجلها، فهو منبع العلوم ومجمع الحكم، وكلما تعمقت الدراسة فيه ظهر من آياته الكبرى ما يخفي على كثيرٍ من الناس.

وواجب على المسلمين أن ينهضوا بكتابهم العظيم، فإن سر نجاحهم وتفوقهم على الأمم بمقدار تعظيمهم له وتمسكهم به، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾(١).

وقد أنزل الله كتابه على أحرفٍ متعددة تيسيراً على الأمة ورحمة بضعفائها، قال رسول الله ﷺ: **[أنزل القرآن على سبعة أحرف]**(٢)، وقد نبغ في سلفنا الصالح علماء قراء نجباء أتقياء، نقلوا القرآن عذباً سلسلاً رطباً نديا كما أنزل، حيث أقاموا مدارس قرآنية يعلمون الناس كتاب ربهم كما أنزل على قلب رسول الله ﷺ ابتغاء ربهم، وبذلك شهدت الأمة بإخلاصهم وتقواهم، وأذعن أئمة العلم لهم بالدقة والضبط والإتقان بنقل كلام رب العالمين.

ونسبة القراءة إليهم نسبة اشتهارٍ لشهرتهم ودقتهم وتعمقهم في علم القراءة، ومن هؤلاء القراء القارئ ابن كثير رحمة الله قارئ مكة الذي نسبت إليه قراءة أهل مكة، وهو أحد القراء السبعة المشهورين، فقد نقل عنه في قراءته "تكبير ختم القرآن" من سورة والضحى إلى آخر القرآن حمداً لله رب العالمين بختم كلامه، وهي سنة فعلها الرسول ﷺ ونقلها السلف الصالح، واشتهرت واستفاضت عن أهل مكة.

ونظراً لأهمية هذا الجانب وتعلقه في علم القرآن وقراءاته أفردتها في بحث علمي، متحرياً أقوال العلماء والفقهاء وعلوم القراءة والقرآن، وقد حوى البحث على مقدمة ومطالب كما يلي:

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه باب أنزل القرآن، على سبعة أحرف برقم ٤٩٩٢.

المطلب الأول: التعريف بالقارئ ابن كثير وبيان أصول قراءته.

المطلب الثاني: بيان تكبير ختم القرآن

المطلب الثالث: صلة التكبير بعلم القراءات.

المطلب الرابع: التكبير والرسم العثماني.

المطلب الخامس: بيان التكبير عند علماء الحديث.

المطلب السادس: صلة التكبير بعلم التفسير.

المطلب السابع: تكبير ختم القرآن عند الفقهاء

خاتمة

وفي الختام أسأل الله عز وجل الإخلاص في القول والعمل فما كان من صواب فمن الله فله الحمد والمنة. وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله أن يجنبي الزيغ والضلال.

المطلب الأول

التعريف بالقارئ ابن كثير وبيان أصول قراءته

١- القارئ ابن كثير:

أ- سمه ونشأته:

هو عبد الله بن كثير، أبو معبد المكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة وُلِد بمكة سنة خمسٍ وأربعين.

وكنيته الداري لأنه كان عطاراً، والعطار تسميه العرب دارياً نسبة إلى دارين موضع بالبحرين يجلب منه الطيب.

وقد نشأ في مكة ولقي بها عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك ومجاهد بن جبير، وقد أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن السائب، ومجاهد بن جبر، ودرباس مول ابن عباس، وروى القراءة عنه: إسماعيل بن القسط، وشبل بن عباد، ومعروف بن مشكان، وغيرهم. توفي سنة عشرين ومائة(١).

ب- ثناء العلماء عليه:

أثنى العلماء على ابن كثير في تقواه وعلمه، قال أبو عمرو بن العلاء: كان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد، وقال ابن مجاهد: ولم يزل عبد الله هو الإمام المجمع عليه في القراءة بمكة.

وقال الإمام الذهبي: "تصدَّر للإقراء، وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن"(٢).

وقال ابن الجزري: "وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً أبيض اللحية طويلاً جسيماً أسمر أشهل العينين عليه السكينة والوقار"(٣).

وقد انتشرت قراءته واستفاضت حتى أخذها أهل مكة، فصارت قراءتهم المعتمدة.

(١) تهذيب التهذيب ٢٣٦/٥، وفيات الأعيان ٤١/٣، ومعرفة القراء ٨٦/١، وسير أعلام النبلاء ٣١٨/٥، وغاية النهاية ٤٤٣/١.
(٢) معرفة القراء للإمام الذهبي ٨٧/١.
(٣) غاية النهاية ٤٤٣/١.

ج- راويا ابن كثير:

١ – أحمد بن محمد بن عبد الله أبو الحسن البزِّي:

ولقد رحمه الله في مكة، وهو مؤذن مسجد الحرام، وهو أول راوٍ لابن كثيرٍ وأكبر رواته، أستاذٌ محققٌ ضابطٌ متقنٌ، قرأ على أبيه، وعبد الله بن زياد، وعكرمة بن سليمان، ووهب بن واضح قرأ عليه الخزاعي، وأحمد بن فرح، ومحمد بن هارون، وغيرهم. وهو الذي روى عنه التكبير. توفي سنة خمس وستين ومائتين(١).

٢ – محمد بن عبد الرحمن بن خالد المخزومي، أبو عمرو المكي الملقب بـ (قنبل):

ولد سنة خمس وتسعين ومائة، وقد أخذ القراءة عرضاً عن أحمد ابن محمد النبال، عن أبي الأخريط وهب بن واضح المكي، عن أبي إسحاق إسماعيل بن عبد الله، عن معروف بن مشكان عن ابن كثير، وأخذ عنه أبو ربيعة بن إسحاق، وإسحاق الخزاعي، وقد انتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز ورحل الناس إليه من الأقطار. توفى سنة إحدى وتسعين و مائتين(٢).

٣ – أصل قراءة ابن كثير:

وضع علماء القراءات أصولاً لقراءة كل قارئ، وذلك تيسيراً في القراءة على طلبة العلم، وقد حوت كتب القراءات أصول القراء نظماً أو نثراً، فمن أصول القراءة عند القارئ ابن كثير ما يلي:

أ- صلة ميم الجمع:

ويقصد بها ميم الجمع التي وقعت قبل متحركٍ، فقرأها ابن كثير بضمها أي: صلتها بواوٍ حيث وقعت، نحو: ﴿**عَلَيْهِمْ غَيْرِ**﴾، ﴿**مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾(٣)، فتصير (عليهمو غير)، (ومما رزقناهمو)(٤).

(١) معرفة القراء للإمام الذهبي ١٧٣/١، ولسان الميزان ٢٨٣/١، وشذرات الذهب ١٢٠/٢.
(٢) معرفة القراء للإمام الذهبي ٢٣٠/١، وغاية النهاية ١٦٥/٢.
(٣) سورة البقرة، أية: ٣.
(٤) انظر: النشر في القراءات العشر ٢٧٣/١، وسراج القارئ ص ٣٢.

ب- هاء الضمير:

هاء الضمير هي الهاء الزائدة الدالة على المفرد المذكر الغائب، وذلك إذا وقعت بين ساكن ومتحرك نحو: ﴿**فِيهِ هُدًى**﴾ [البقرة: ٢]، ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ**﴾ [الحاقة: ٣٠]، وقد قرأ ابن كثير بصلة الهاء، فإن كانت مضمونة وصلها بواوٍ، وإن كانت مكسورة وصلها بياءٍ فتصير أثناء القراءة (فيهي هدى)، و(خذوهو فاعلتوهو إلى)[١]، والمراد بالصلة إشباع الضمة حتى تصير واواً ساكنة مدية، وإشباع الكسرة حتى تصير ياءً ساكنة مدية.

ج- مد المنفصل والمتصل:

المد المنفصل:

هو أن يأتي بعد حرف المد همز منفصل عنه في كلمة أخرى، مثاله: (يا أيها)، وقد قرأ ابن كثير القصر بمقدار حركتين.

المد المتصل:

هو أن يقع بعد حرف المد همز متصل به في كلمة واحدة سواء كانت متوسطة أو متطرفة، مثاله: (نداءً)، (السمآء)، ويمده أربع حركات[٢].

د- الهمزتان من كلمة:

الهمزتان من كلمة هما الهمزتان المتتاليتان في كلمة واحدة، وهما على ثلاثة أنواع:

مفتوحتان، أو مفتوحة بعدها مكسورة، أو مفتوحة بعدها مضمومة، وقد قرأ ابن كثير بتسهيل الهمزة الثانية غير مدٍّ من كل همزتي قطع التقتا في كلمة واحدة نحو: ﴿**أَأَنذَرْتَهُمْ**﴾ [البقرة: ٦]، ﴿**أَئِنَّكُمْ**﴾ [فصلت: ٩]، ﴿**أَؤُلْقِيَ**﴾ [القمر: ٢٥]، وزاد في ﴿**أَئِمَّةَ**﴾ [التوبة: ١٢] حيث جاء إبدال الثانية ياء خالصة.

وقرأ ﴿**أَن يُؤْتَى**﴾ [آل عمران: ٧٣]، و﴿**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ**﴾ [الأعراف ٨١]، و﴿**أَذْهَبْتُمْ**﴾ [الأحقاف: ٢٠]، و﴿**ءَآمَنتُمْ**﴾ [الأعراف: ١٢٣]، [الشعراء: ٤٩] بالاستفهام، وأجري الثانية

(١) أصول القراء. على محمد الضباع ص ١٥٤.
(٢) النشر في القراءات العشر ٣٢٨/١، أصول القراءة ص ١٥٤.

على قاعدته المذكورة[1]، واختلف رواياه في ﴿ءآمَنتُمْ﴾ [طه: ٧١] فرواه البزي بالاستفهام ورواه قنبل بالخبار.

واختلفا أيضاً في الهمزة الأولى من ﴿ءآمَنتُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣]، و﴿ءآمَنتُمْ﴾ [الملك: ١٦]، في حالة الوصول فحققها فيهما البزي وأبدلهما واواً قنبل[2].

هـ- الهمزتان المتتاليتان في كلمتين:

وهما على ضربين: ١- متفقتان، ٢- مختلفتان.

فأما المتفقتان فهما على ثلاث أنواع: مفتوحتين، ومضمومتين، ومكسورتين.

١ - المفتوحتان:

إذا تلاصق همزتا قطعٍ من كلمتين، واتفقتا في الفتح نحو "جاء أمرنا" فقد قرأ ابن كثير من رواية البزي بإسقاط الأول، وقيل الثانية.

٢ - المضمومتان والمكسورتان:

قرأ ابن كثير من رواية البزي في المضمومتين والمكسورتين بتسهيل الأولى وتحقيق الثانية. وزاد في ﴿بِالسُّوءِ إِلاَّ﴾ [يوسف: ٥٣]، إبدال الأولى واواً مع إدغام الاو التي قبلها فيها.

وأما قنبل فقد روي عنه تحقيق الأول وتسهيل الثانية في الأنواع الثلاثة وجاء عنه إبدالها مداً محضاً. ويشبعه قبل الساكن نحو ﴿**جاء أمرنا**﴾. ويقصره قبل المتحرك نحو: ﴿جَاءَ أَحَدٌ﴾ [النساء: ٤٣]، ويجوز في ﴿آلَ لُوطٍ﴾ [الحجر: ٥٩]، و[القمر: ٣٤]، وكذلك في ﴿النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وصلاً فإن وقف عليه فالإشباع فقط[3].

٣ - المختلفتان:

وإذا اختلفت الهمزتان في الشكل بأن فتحت الأولى وضمت الثانية أو كسرت نحو: ﴿جَاءَ أُمَّةً﴾ [المؤمنون: ٤٤]، ﴿شُهَدَاءَ إِذْ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فابن كثير يسهل الثانية

(١) أصول القراءة ص ١٥٤.
(٢) انظر سراج القارئ شرح الشاطبية ص ٦٢.
(٣) الإضاءة بأصول القراءة ص ١٥٤.

بين بين، فإن ضمت الأولى وفتحت الثانية نحو ﴿**السُّفَهَاءُ أَلاَ**﴾ [البقرة: ١٣]، فله إبدال الثانية واواً خالصة.

وإن كسرت الأولى وفتحت الثانية فله إبدال الثانية ياء خالصة،، واختلف عنه في المكسورة بعد المضمونة نحو: ﴿**يَشَاءُ إِلَى**﴾ [البقرة: ١٤٢] بين تسهيلها بين بين وإبدالها واواً. ومحل التسهيل أو الإبدال في ذلك كله حال الوصل فقط، فإن وقفت على الأولى وابتدأت بالثانية فلابد من التحقيق(١).

و- ياء الإضافة:

وأما ياء الإضافة فقد قرا بفتح كل ياء متكلم وقعت قبل همز قطع مفتوحة ما عدا أربع عشر موضوعاً.

وأثبت ابن كثير الياء في الحالين: الوصول، والوقف، في ﴿**يَوْمَ يَأْتِ**﴾ [هود: ١٠٥]، و﴿**تُؤْتُونِ**﴾ [يوسف: ٦٦]، و﴿**الْمُتَعَالِ**﴾ [الرعد: ٩]، و﴿**لَئِنْ أَخَّرْتَنِ**﴾ [الإسراء: ٦٢]، و﴿**أَن يَهْدِيَنِ**﴾ [٢٤]، و﴿**إِن تَرَنِ**﴾ [٣٩]، ﴿**أَن يُؤْتِيَنِي**﴾ [٤٠]، ﴿**مَا كُنَّا نَبْغِ**﴾ [٦٤]، وأن تعلمن الخمسة في الكهف، و﴿**أَلاَّ تَتَّبِعَنِ**﴾ [طه: ٩٣]، و﴿**أَتُمِدُّونَنِ**﴾ [النمل: ٣٦]، و﴿**وَالْبَادِ**﴾ [الحج: ٢٥]، و﴿**كَالْجَوَابِ**﴾ [سبأ: ١٣]، و﴿**التَّلاقِ**﴾ [١٥]، و﴿**التَّنَادِ**﴾ [٣٢]، و﴿**اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ**﴾ [٣٨] الثلاثة في غافر، و﴿**الْجَوَارِ**﴾ [الشورى: ٣٢]، ﴿**إِلَى الدَّاعِ**﴾ [القمر: ٨]، و﴿**الْمُنَادِ**﴾ [ق: ٤١](٢).

وأثبت البزي الياء في الحالين أيضاً في ﴿**دُعَاءِ**﴾ [إبراهيم: ٤٠]، ﴿**يَدْعُ الدَّاعِ**﴾ [القمر: ٦]، ﴿**أَكْرَمَنِ**﴾ [١٥]، ﴿**أَهَانَنِ**﴾ [١٦] كلاهما في الفجر، وكذا بالواد فيها أيضاً، لكن وافقه فيه قنبل بخلف عنه في الوقف(٣).

هذه أصول قراءة ابن كثير باختصار، وتوجد في كتب القراءات مفصلة كاملة تركتها للاختصار(٤).

(١) المرجع السابق.
(٢) الإضاءة بأصول القراءة ص ١٥٥.
(٣) نشر في القراءات العشر.
(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٢٧٣/١، الإضاءة بأصول القراءة ص ١٢٢.

المطلب الثاني

بيان تكبير ختم القرآن

تعريف التكبير:

هو قول القارئ عند ختمه للقرآن بعد صورة والضحى "الله أكبر".

الأصل فيه:

لقد ورد التكبير عن النبي ﷺ عند سورة والضحى، والأصل فيه رواية مسند الإمام أحمد بن حنبل.

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن الأسود بن قيس، قال: سمعت جندباً يقول: اشكى النبي ﷺ، فلم يقم ليلةً أو ليلتين، فأتت امرأةٌ فقال: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، فأنز الله عز وجل ﴿**وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**﴾[1].

قال الحافظ ابن الجزري رحمه الله: روي أبو العلاء بإسناده عن أ؛مد بن فرح، عن البزي[2]: أن الأصل في ذلك أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي، فقال المشركون: قلى محمدٌ ربه، فنزلت سورة "والضحى" فقال النبي ﷺ: "الله أكبر"[3].

قال ابن الجزري[4]: وهذا قول الجمهور من أئمتنا: الحسن بن غلبون، وأبي عمرو الداني، وأبي الحسن السخاوي، وغيرهم من متقدمٍ ومتأخرٍ.

وقد رد التكبير عن النبي ﷺ من رواية البزي عن ابن كثير، فقد روى الحاكم بإسناده، قال: حدثنا أبو يحيى محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، حديثا أبو عبد الله محمد بن علي بن زيد الصائغ، حدثنا أحمد ابن محمد بن القاسم بن أبي بزة، قال: سمعت عكرمة ابن سليمان يقول، قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، فلما بغلت "والضحى" قال لي: كبِّر عند خاتمة كلِّ سورة حتى تختم، وأخبره عبد الله بن كثير:

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير باب سورة الضحى ٥٨٠/١٠ رقم ٤٩٥، أحمد في مسنده ١١٥/٦.
(٢) أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة، أو الحسن البزي المكي المقرئ، قارئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام، قرأ على عكرمة بن سليمان، روي عنه البخاري في تاريخه، أذن في المسجد الحرام أربعين سنة، وأقرأ الناس بالتكبير من "والضحى" توفى رحمه الله سنة ٢٥٠ هـ معرفة القارئ الكبار ١٧٣/١.
(٣) النشر في القراءات العشر ٤٠٦/٢.
(٤) المرجع السابق.

أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك، وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعبٍ أمره بذلك، وأخبره أبي بن كعب أن النبي ﷺ أمره بذلك.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجه البخاري ولا مسلم(١). اهـ.

قال الذهبي: قال يعقوب الفسوي(٢): حدثنا سفيان بن عيينة، قال: رأيت حميداً الأعرج يقرأ، والناس حوله فإذا بلغ "والضحى" كبر إذا ختم كل سورة حتى يختم.

وقد أورد حديث التكبير أبو جعفر الباذش(٣) منطريق حافظ المغرب ومحدثها أبي عمر بن عبد البر. قال أبو جعفر الباذش في كتابه الإقناع: حدثنا الحسين بن محمد الغساني الحافظ، حدثنا أبو عمر بن عبد البر، حدثنا أبو الوليد بن الفرضي، حدثنا يحيى بن مالك بن عائذ، حدثنا علي بن أبي غسان الدقاق، حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان، والعباس بن أحمد أبو الخبيب البرتي، حدثنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أبي بزة، قال: حدثنا عكرمة بن سليمان بن كثير، قال: قرت على إسماعيل بن عبد الله فلما بلغت "والضحى" قال: كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة، فإني قرأت على شبل بن عباد، وعلى عبد الله بن كثير، فأمراني بذلك، وأخبره ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أن ابن عباد أمره بذلك وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك، وأخبره أبي بن كعب أن الرسول ﷺ أمره بذلك. أهـ

هذه الروايات كلها تبين سنة التكبير وصحة وروده عن النبي ﷺ، لا سيما وأنه أسند من قبل أئمة العلم والحديث.

(١) المرجع السابق.
(٢) يعقوب بن سفيان الفارسي، الفسوي، نسبة إلى فسا بفارس روى عنه الترمذي، والنسائي، وابن خزيمة، قال النسائي، لا بأس به. انظر: تهذيب التهذيب ٨٥/١١.
(٣) الإقناع في القراءات السبع ٨٢١/٢.

المطلب الثالث

صلة التكبير بعلم القراءات

صلته بكتاب الله:

لقد أثنى النبي ﷺ على أهل القرآن، بقوله: "**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**"(١)، وهم أهل الله وخاصته، قال ﷺ: "**إن الله أهلين من الناس، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرن هم أهل الله وخاصته**"(٢).

يعتمد نقل القرآن بتجويده وقراءاته على الأسانيد الصحيحة المثبتة والمرفوعة إلى النبي ﷺ، فعلم القراءات علم مسند بأسانيد صحيحة، ولما جمع القرآن في العهدين الراشدين اعتمد في جمعه على السماع والتلقي من الرسول ﷺ.

ومن المعلوم أن تكبير ختم القرآن كان متصلاً بعلم القراءات تلقياً وسماعاً منذ الصدر الأول في الإسلام، وأهم مرجع للقراءات الإسناد والتلقي من أفواه الشيوخ الأثبات، بالإضافة غلى الكتب التي صنفوها، وبالرجوع إلى كتب علم القراءات نجد أنها أفردت باباً في نهاية كب كتاب عن التكبير وأحكامه، لأنهم تلقوه بالأسانيد عن شيوخهم، وإذا طرأ الشك في صحة التكبير، فسيأتي الشك للقراءات القرآنية لأنهما متصلان من حيث الأداء والتلقي.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله(٣):

وَفيهِ عَنِ الْمَكِّينَ تَكْبِيرُهُمْ مَعَ الـ	ـخوَاتِمِ قُرْبَ الخَتْمِ يُرْوى مُسَلْسَلاَ
إِذَا كَبَّرُوا فِي آخِرِ النَّاسِ أَرْدَفُوا	مَعَ الْحَمْدِ حَتَّى الْمُفْلِحُونَ تَوَسُّلا
وَقَالَ بِهِ الْبزِّيُّ مِنْ آخِرِ الضُّحى	وَبَعْضٌ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ وَصَّلاَ
وَقُلْ لَفظُهُ اللهُ أَكْبَرْ وَقَبْلَهُ	لأَحْمَدَ زَادَ ابْنُ الْحُبَابِ فَهَلَّلا
وَقِيلَ بِهَذَا عَنْ أَبِي الْفَتْحِ فَارِسٍ	وَعَنْ قُنْبُلٍ بعضٌ بِتَكْبِيره تَلاَ

(١) رواه البخاري في صحيحه، انظر صحيح البخاري ٢٣٢/٣.
(٢) رواه ابن ماجه في سننه برقم ٢١٥.
(٣) متن الشاطبية ص ٩٠.

لقد بين شراح قصيدة الإمام الشاطبي حكم التكبير وصلته بالقراءات القرآنية، وأول شارح للقصيدة الإمام السخاوي تلميذ الشاطبي، قال رحمه الله: إنَّ البزي روى عن عكرمة بن سليمان مولى شيبة أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين، قال: فلما بلغت [وَالضُّحَى]، قال لي: كَبِّرْ مع خاتمة كل سورة حتى تختم، فإني قرأت على عبد الله بن كثير فأمرني بذلك، وأخبرني أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبره بن عباس أنه قرأ على أُبيٍّ فأمره بذلك، وأخبره أُبي أنه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك(١).

ونقل التكبير الإمام أبو شامة رحمه الله، قال: "لا يختص ذلك عند جماعة من مصنفي كتب القراءات بل هو مروي عن البزي، لكن شهريته عن البزي أكثر وعنه انتشرت الآثار في ذلك"(٢). أهـ

سبب اختلاف القراء في موضع التكبير:

اختلف القراء في موضع التكبير، فبعض القراء جعل التكبير بعد سورة "الضحى" والبعض يكبر في أولها، والسبب في ذلك أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي وتكلم المشركون فنزل جبريل بسورة والضحى، فقرأها جبريل أولاً والنبي ﷺ يسمع، فعندما انتهى من قراءتها فرح النبي ﷺ، فكبر فرحاً نزول جبريل، فقال: الله أكبر.

فمن جعل التكبير بعد سورة والضحى، استدل أن جبريل عليه السلام عندما انتهى من القراءة كبَّر النبي ﷺ لقراءة جبريل، فجعل التكبير لقراءة جبريل عليه السلام، فروى التكبير آخرها.

ومن قال: أن التكبير أول سورة "والضحى" استدل أن جبريل عليه السلام عندما انتهى من القراءة كبَّر النبي ﷺ، وقرأ بعدها سورة والضحى، فجعل التكبير لقراءة النبي ﷺ، لأن الرسول ﷺ كبَّر أولاً ثم قرأ "والضحى" فروى التكبير أولها، والقولان صحيحان، وجاءت الرواية بهما.

(١) فتح الوصيد في شرح القصيد للإمام علم الدين السخاوي تحقيق د. أحمد الزعبي ٥٢٥/٢.
(٢) إبراز المعاني، ص ٧٣٨.

وقد أوردت كتب القراءات التكبير من رواية البزي عن ابن كثير، فلا يكاد يخلو كتاب أو مؤلف إلا وأورد التكبير، مما يدل أن التكبير منقول بأسانيد صحيحة مع القراءات القرآنية.

قال المقرئ ابن الجزري: أعلم أن التكبير صح عند أهل مكة: قرائهم وعلمائهم وأئمتهم ومن روى عنهم، صحةٌ استفاضت واشتهرت وذاعت وانتشرت حتى بلغت حدَّ التواتر، وقد صار على هذا العمل عند أهل الأمصار في سائر الأقطار، عند ختمهم في المحالف، واجتماعهم في المجالس لدى الأماثل، وكثير منهم يقوم به في صلاة رمضان، ولا يتركه عند الختم على أي حال كان[١].

قال ابن الجزري في منظومته[٢]:

وسنة التكبير عند الختم صحت عن المكين أهل العلم
في كل حالٍ ولدى الصلاة سُلسل عن أئمة ثقات

وقد أورد التكبير من الأئمة والقراء المتقدمين، الحافظ أبو عمرو الداني، حيث قال: "أعلم أيدك الله أن البزي روى عن ابن كثير بإسناده أنه كان يكبر من آخر "والضحى" مع فراغه من كل سورة إلى آخر قل أعوذ برب الناس، وبهذا قرأت"[٣].

وأسند أبو عمرو الداني وأبو القاسم الفحام، وأبو العلاء عن حنظلة بن أبي سفيان، قال قرأت على عكرمة بن خالد المخزومي، فلما بلغت والضحى، قال هيهاً، قلت: ما تريد بهيهاً؟

قال: كبر، فإني رأيت مشايخنا ممن قرأ على ابن عباس يأمرهم بالتكبير إذا بلغوا والضحى[٤].

قالأبو الطيب ابن غلبون عن التكبير: وهذه سنة مأثورة عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة التابعين، وهي سنةٌ بمكة لا يتركونها البتة، ولا يعتبرون رواية البزي ولا غيره[٥].

(١) النشر في القراءات العشر ٢/٤١٠.
(٢) طيبة النشر في القراءات العشر.
(٣) التيسير في القراءات السبع، ص ٢٢٦.
(٤) التيسير في القراءات السبع، ص ٢٢٦.
(٥) إبراز المعاني، ص ٧٣٥.

وقال الحافظ عمرو: لم يرفع التكبير أحدٌ من القراء إلا البزي، فإن الروايات قد تطارقت عنه برفعه إلى النبي ﷺ، ومدار الجميع على رواية البزي(١).

ولا عبرة بتضعيف أهل الحديث للبزي.

وأفرد أبو العز القلانسي بحثاً خاصاً عن التكبير، وأوده مكي بن أبي طالب، قال: تفرد به ابن كثير في رواية البزي عنه خاصة، وحجته أنها رواية نقلها عن شيوخه من أهل مكة في الختم يجعلون ذلك زيادة في تعظيم الله جل ذكره(٢) .. أهـ

قلت: بهذا يتضح أن علماء القراءات نقلوا التكبير أثناء تلقيهم القراءات القرآنية، فكان القارئ إذا قرأ قراءة ابن كثير من رواية البزي يأتي بالتكبير، فيأخذه عن الشيخ كما يأخذ رواية البزي عن ابن كثير، وهكذا تسلسل التكبير بأئمة ثقات إلى النبي ﷺ.

قال ابن الجزري:

وسنة التكبير عند الختم ... صحت عن المكين أهل العلم
في كل حالٍ ولدى الصلاة ... سلسل عن أئمة ثقات

صيغ التكبير:

اتفق القراء أن صيغة التكبير هي: "الله أكبر" ولكن اختلفوا في الزيادة عليه، فأما البزي فروى الجمهور عنه هذا اللفظ من غير زيادة ولا نقصان، وعليه العمل.

وروى آخرون عنه التهليل ولفظه: "لا إله إلا الله والله أكبر" وهذه الزيادة من طريق ابن الحباب عن البزي، وبه قرأ الداني على أبي الفتح فارس، وهو وجه صحيح ثابت عن البزي. وهذا ما أشار الإمام الشاطبي إليه بقوله(٣):

وقل لفظه الله أكبر وقبله ... لأحمد زاد بن الحباب فهللا
وقيل بهذا عن أبي الفتح فارس ... وعن قنبل بعض بتكبيره تلا

قال ابن غلبون: والتكبير اليوم بمكة: ((الله أكبر)) لا غير، وهو المشهور في رواية البزي(٤).

(١) إبراز المعاني، ص ٧٣٥.
(٢) الكشف في القراءات السبع ٣٩١/٢.
(٣) متن الشاطبية، ص ٩٠.
(٤) التذكرة لابن غلبون ٦٥٦/٢.

وقال مكي: الذي قرأت به من طريق الأمصار: ((الله أكبر)) لا غير، فأما وجه التهليل، فقد رواه الحسن بن الحباب عن البزي[1]، وقد ذكره أبو العلاء فقال: ((لا إله إلا الله والله أكبر)).

المطلب الرابع

التكبير والرسم العثماني

كان قراء الأمصار يعتمدون على قوة حفظهم في ضبط الأحرف القرآنية، ولما توسعت دولة الإسلام وتزاحم الناس على القرآن تطلبه حفظاً وإتقاناً، حتى بلغ من كان يجلس في حلقة أبي الدرداء بدمشق ألف وستمائة، ومع هذه الكثرة أدى إلى الاختلاط بالحفظ المتقنين من هم أقل منهم إتقاناً وضبطاً للحروف، وخوفاً من هذا الخلل الذي بدأ يتسلل إلى قوة الحفظ العامة وفصاحة الألسنة، ولكي تبقى القراءات المتواترة متميزة عن غيرها من القراءات الشاذة ممن كان يقرأ قبل العرضة الأخيرة، وضع علماء القراءات ضوابط وقوانين يميزونها عن غيرها؛ ومن هذه الشروط:

* **التواتر مع اتصال السند وصحته.**
* **موافقتها لرسم المصحف - الرسم العثماني - ولو احتمالاً.**
* **موافقتها لأي وجه من وجوه النحو، ولو كان الوجه مرجوحاً[2].**

وينبغي أن يعلم أن أهم هذه الأركان هو الركن الأول، وأما الركنان الآخران فهما لازمان له، لأنه متى تحقق التواتر لزم من ذلك أن تكون موافقة للغة العرب، ولأحد المصاحف العثمانية.

هذه الضوابط هي الميزان الذي مشى عليه علماء القراءات، وبذلك ميزوا بين القراءات الصحيحة وغيرها من الشاذة والضعيفة، ثم بعدها وجدت الكتب والمصنفات في عصر التابعين ومن بعدهم.

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٣٩١/٢.
(٢) النشر في القراءات العشر ٩/١.

وكان الرسم الذي كتبت به المصاحف يخالف القواعد الإملائية الحديثة، وقد عرف فيما بعد بالرسم العثماني، نسبة إلى عثمان بن عفان الذي تم في عهده جمع المصحف الجمع الأخير التي استقر عليه.

وقد ساعد الرسم الذي كتبت به المصاحف على إثبات الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن لقوله ﷺ: "**أنزل القرآن على سبعة أحرف**"(١).

وقد احتمل الرسم الأحرف السبعة، وما لم يحتمله الرسم، كتب بأكثر من رسم وفرقوه في المصاحف برسمين مختلفين، ومن هنا وجدت فروق يسيرة بين المصاحف العثمانية.

مذاهب العلماء في التزام الرسم العثماني:

يقصد بالرسم العثماني رسم القرآن بالطريقة التي تمت في عهد عثمان بن عفان ﷺ، وهي الطريقة التي اعتمدتها اللجنة المكلفة بنسخ مصاحف الأمصار.

ومن المعلوم أن الأصل في الكتابة أن توافق النطق من غير تعديل، إلا في الرسم العثماني فلم توافق الكتابة منطوق الكلمة موافقةً تامة، بل هناك كثير من الأحرف القرآنية رسمت رسماً خاصاً بها غير خاضع لقواعد الإملاء.

وقد ذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى وجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف، واستدلوا على ذلك بأن الرسم الذي كتبت به المصاحف قد أثر عن رسول الله ﷺ، واقتدى به صحابة رسول الله ﷺ كأبي بكر وعثمان رضى الله عنهم، واستمر ذلك الرسم إلى يومنا هذا، ولم ينقل عن أحدٍ من الصحابة أو التابعين أنْ غيّر الرسم.

سئل مالك إمام دار الهجرة ﷺ: هل يكتب المصحف على ما أ؛دثه الناس من الهجاء، فقال: لا إلا على الكتبة الأولى(٢).

وسئل في موضعٍ آخر عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك، قال: (لا)، قال أبو عمرو الداني: يعنى الواو والألف

(١) رواه البخاري في صحيحه باب أنزل القرآن على سبعة أحرف برقم ٤٩٩٢.
(٢) رواه الداني في المقنع ص٩، انظر: الإتقان في علوم القرآن ١٦٧/٢.

المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو: (أولوا)، قال أبو عمروٍ الداني: ولا مخالفٌ في ذلك من علماء الأمة(١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: تحرم مخالفة خط مصحف عمثان في واوٍ أو ياءٍ أ غير ذلك(٢).

وقال البيهقي في الشعب: من يكتب مصحفاً ينبغي أن يحافظ على الهجاء بالذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانةٌ(٣).

كل هذه النصوص تؤيد وجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصاحف، لا سيما وأنه أحد أركان قبول القراءة الصحيحة.

التكبير والرسم العثماني:

ولعل السؤال الآن، لماذا ورد التكبير في قراءة ابن كثير بعد سورة والضحى، وهو لم يرسم في المصحف العمثاني، ومن أركان القراءة الصحيحة المتواترة موافقة الرسم العثماني؟

والجواب في ذلك:

ليس في إثبات التكبير مخالفة للرسم العثماني، لأن مثبته لم يلحقه بالقرآن، ومثل ذلك الاستعاذة، وكلمة (آمين) بعد سورة الفاتحة، وأما الأركان الثلاثة في صحة القراءة، فهي بالنسبة لإثبات قرآنية الحرف صحةً وقبولاً، أما التكبير فليس حرفاً قرآنياً، وإنما أحلق بالقراءة من حيث الأداء والتلقي، وقارئ القرآن يأتي بالاستعاذة ولكنها ليست من القرآن، ولم ترسم فيه، ولكنها يأتي بها لامتثال السنة في ذلك، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾(٤).

(١) المقنع ص ١٠، وانظر: الإتقان في علوم القرآن ١٦٧/٢.
(٢) الإتقان في علوم القرآن ١٦٧/٢.
(٣) المرجع السابق.
(٤) سورة النحل: الآية ٩٨.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأبلغ من ذلك البسملة فإن من القراء من يفصل بها، ومنهم من لا يفصل بها، وهي مكتوبةٌ في المصاحف، وليس التكبير مكتوباً في المصاحف، وليس هو من القرآن باتفاق المسلمين، ولم يتفق أئمة المسلمين على عدم وجوبه، ولم ينقل أحدٌ من أئمة الدين أن التكبير واجبٌ، وإنما غاية من يقرأ بحرف ابن كثير أنه يقول: إنه متسحب، وهذا خلاف البسملة"(١).

المطلب الخامس

بيان التكبير عند علماء الحديث

لقد علماء الحديث حديث التكبير في مصنفاتهم دون إنكار في ذلك، وبينوا الإمام البزي من حيث ضبطه ودقته في روايته الحديث.

قال الحافظ الذهبي في ترجمة أحمد البزي(٢): إمامٌ في القراءة ثبت فيها، له عن عن مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ﷺ: مرَّ رسول الله ﷺ بمجلس الأنصار وهم يمزحون، فقال "**أكثروا ذكر هاذم اللذات**" قال أبو حاتم: هذا حديثٌ باطل، فأحمد البيز لين الحديث، وقال العقيلي: منكر الحديث.

قبل الخوض في آراء علماء الحديث، أود أن أذكر أن أقسام علوم الشريعة قد تعددت، وأصبح كلٌّ قسمٍ فناً خاصاً يشتمل على قواعد وتفريعات مطولة، ولا ينبغي أن يحكم على حديث صحة وفساداً إلا بعد استقراءٍ تام، والرجوع إلى أهل كل فنٍ، فلا يصح لأهل الحديث أن يضعفوا قراءة من القراءات دون الرجوع إلى علماء القراءات والأخذ منهم، ولا يصح لأهل القراءات أن يصححوا أو يضعفوا حديثاً دون الرجوع إلى أهل الحديث، وقل من جمع وأحاط بكل العلوم، فقد تجد عالماً متقدماً في فنه واختصاصه ومقصر في فنون أخرى.

قال الإمام الذهبي: "نوح بن أبي مريم مع جلالته في العلم تركَ حديثه، وكذلك شيخه مع عبادته، فكم من إمامٍ في فنَّ مقصِّرٍ عن غيره كسيبويه مثلاً إمامٌ في النحو ولا يدري ما الحديث، ووكيع إمام في الحديث ولا يعرف العربية، وعبد الرحمن بن مهدي إمامٌ

(١) الفتاوي الكبرى لابن تيمية ٤١٩/١٣.
(٢) انظر الميزان ١٤٤/١، سير أعلام النبلاء ٥٠/١٢، الجرح والتعديل ٧١/٢، الضعفاء للعقيلي ١٢٧/١.

في الحديث ولا يدري ما الطب، وكفحصٍ إمامٌ في القراءة تالفٌ في الحديث. وللحروب رجالٌ يعرفون بها"[١].

قلت: كذلك التكبير فإنه جاء من طريق القراء، ونقل إلينا بأسانيد متواترة، وعندما حكم عليه علماء الجرح بأنه منكر الحديث إنما من حيث قواعد علم الحديث، وإلا فهو إمامٌ في القراءة حجةٌ فيها، لا سيما وأنه تنسب إليه رواية من الروايات، وصلت إلينا بأسانيد متواترة، وما أحسن ما قاله مكي بن أبي طالب رحمه الله: "المحدثون تبعٌ للقراء في القراءة".

لقد قال الإمام الذهبي عن البزي: كان ثبتاً في القراءة، واهياً في الحديث لأنه كان لا يتقن الحديث، ويتقن القرآن ويجوده وإلا فهو في نفسه صادق"[٢].

قال في تلخيص المستدرك عن البزي: "تكلم فيه" وعبارته هذه عن البزي نفسه لا عن حديثه، وإطلاق كلمة "تكلم فيه" هي أدنى درجات الجرح، وهي قريبة إلى التعديل كما هو موضح في كتب الحديث.

قال في ترجمة أحمد البزي[٣]: هو أبو الحسن البزي المكي المقرئ، قارئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام، روى له البخاري في تاريخه، والحسن بن الحباب، ومحمد بن يوسف، وأذن في المسجد الحرام أربعين سنة، وأقرأ الناس بالتكبير من "والضحى" وروى في ذلك خبراً غريباً رواه عنه جماعة.

ثم ساق الذهبي حديث التكبير .. إلى أن قال: قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجه البخاري ولا مسلم.

وقال يعقوب الفسوي: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: رأيت حميداً الأعرج يقرأ والناس حوله، فإذا بلغ "والضحى" كبَّر إذا ختم كل سورةٍ، قال: وحدثنا الحميدي، قال: سألت سفيان بن عيينة، قلت: يا أبا محمد رأيت شيئاً عجيباً ربما فعله الناس عندنا يكبر القارئ في شهر رمضان إذا ختم، فقال: رأيت صدقة بن عبد الله بن كثيرٍ يؤم الناس منذ أكثر من سبعين سنة، فكان إذا ختم القرآن كبر.

(١) تذكرة الحفاظ ١٠٣١/٣.
(٢) ميزان الاعتدال ٥٥٨/١.
(٣) معرفة القراء الكبار ١٧٨/١.

وهذه الرواية التي أتى بها الإمام الذهبي تأكيد لتأييده الرواية الأخرى، وكأنه يريد أن يدفع عنها الغرابة.

وقد روى الحديث مسلسلاً من طريق الإمام السخاوي عنابن حجر العسقلاني، ثم قال السخاوي: هذا حديثٌ حسن التسلسل بالقراء إخراجه الحاكم ي مستدركه(١).

قال السندي:

والحدث متصل من راية البزي عن عكرمة عن إسماعيل عن ابن كثير، وهذا غير قادح في اتصال طريق ابن كثير، وأما ما نقله السخاوي من أن الذهبي تعقب تصحيح الحاكم لهذا الحديث، وقال فيه أبو حاتم: إنه ضعيف الحديث، فطعنه غير مؤثر هنا، لأنه ملحق بكيفية الأداء الذي هو ثقة فيها ضابط لها محقق متقن، فلا يقدح في ذلك كونه ضعيف الحديث في غير ما يتعلق بالقراءة.

بهذا يتبين أن التكبير لا غبار عليه، ذلك أنه نقل إلينا بطرق أداء أهل القراءة، وكان ملاماً للقراءات ملازمة غير منقطعة، ونقله من طريق أهل القراءة، لا يؤثر فيه قدح علماء الجرح والتعديل.

المطلب السادس

صلة التكبير بعلم التفسير

بما أنَّ التكبير متصل بعلم القراءة، حيث روى من طريق البزي عن ابن كثير، واشتهر واستفاض عنه.

وقد أولت كتب التفسير اهتماماً بهذا الجانب، وأنت به تأييداً له، ولعل معظم كتب التفسير قد ذكرته عند سورة والضحى، وأتت بالرواية في ذلك.

قال القرطبي: "يكبر القارئ في رواية البزي عن ابن كثير، ولا يكبر في قراءة الباقين لأنها ذريعة إلى الزيادة في القرآن"(٢).

(١) حصر الشارد مخطوط.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠٣/٢٠.

وفي تفسير ابن كثير رحمه الله نجد أن برواية التكبير وأسندها إلى البزي، فهو يقور رحمه الله: وحكي أن الشافعي سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة، فقال أحسنت، وأصبت السنة.

قال ابن كثير: "وهذا يقتضي صحة هذا الحديث"(١).

أما المفسر الآلوسي رحمه الله فقال:

وندب التكبير عند خاتمة هذه السورة الكريمة، وكذا بعدها إلى آخر القرآن العظيم، وساق بعدها حديث التكبير، وقال: وكان منه عليه الصلاة والسلام فرحاً بنزول الوحي بعد تأخره وبطئه، ونقل عن الشافعي أنه قال للبزي: إذا تركت التكبير من والضحى فقد تركت سنة من سنن نبيك ﷺ، وقد ثبت نصه عن الإماميين الشافعي وأحمد رحمهما الله، ولم أطلع على نص في ذلك لأبي حنيفة ومالك رحمهما الله(٢).

أما الإمام السيوطي فقد ذكره في تفسيره(٣) وساق الرواية في ذلك، مؤيداً لها، وقال: فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن بن محمد، وكان إماماً في القراءات.

المطلب السابع

تكبير ختم القرآن عند الفقهاء

لقد بين الفقهاء حكم التكبير، مستدلين بأدلة من السنة، وعمل السلف، فقد روى أبو شامة بسنده إلى البزي، قال: قال لي محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن نبيك ﷺ.

وفي رواية أخرى أن الحسن بن محمد بن عبد الله بن أبي يزيد "القرشي(٤)، قال صليت بالناس خلف المقام بالمسجد الحرام في التراويح في شهر رمضان، فلما كان ليلة الختم كبرت من خاتمة والضحى إلى آخر القرآن في الصلاة، فلما سلمت التفت، وإذا أنا

(١) تفسر ابن كثير ٥٢١/٤.
(٢) روح المعاني ١٦٥/٣٠.
(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣٣٦٠/٦.
(٤) هو أبو محمد المكي المقرئ، قرأ على شبل بن عباد عن ابن كثير، وذكر الهذلي أنه قرأ أيضاً على عمرو بن قيس، روى القراءة عنه حامد بن يحيى البلخي، وأحمد بن محمد بن أبي بزة، أمَّ بالمسجد الحرام، ورو عن الشافعي رحمه الله. أه غاية النهاية ٢٣٢/١.

بأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ﷺ قد صلى ورائي، فلما أبصرني، قال: ليس أحسنت، وأصبت السنة .. أهـ.

من هذه الرواية وغيرها أخذ الشافعية والحنابلة فعل التكبير وصار عليه العمل في المذهب، وقال به خاتمة المحققين في المذهب الشافعي ابن حجر الهيتمي، وقال به خاتمة المحققين في المذهب الشافعي ابن حجر الهيتمي، وقد أجاب على سائل بذلك.

سئل رحمة الله: هل ورد حديثٌ صحيح في مشروعية التكبير أواخر قصار السور.

فأجاب رحمه الله:

حديث التكبير ورد من طرق كثيرة عن أحمد بن محمد بن أبي بزة، قال: سمعت عكرمة بن سلميان يقول: قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، فلما بلغت والضحى، قال لي: كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم، وأخبره أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أن ابن عباس رضى الله عنهما أمره بذلك، أخبره ابن عباس بأن أبي بن كعبٍ أمره بذلك، وأخبره أبي بن كعب أن النبي ﷺ أمره بذلك.

وقد أخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجه البخاري ولا مسلم.

وقد يعارضه تضعيف أبي حاتم والعقيلي للبزي، ويجاب: بأن هذا التضعيف غير مقبولٍ، فقد رواه عن البزي الأئمة الثقات، وكفاه فخراً قولٌ إمامنا الشافعي ﷺ للبزي: إن تركت التكبير فقد تركت سنةً من سنن نبيك ﷺ، وقال ابن كثير: وهذا يقتضي صحة الحديث.

ومما يقتضي صحته أيضاً أن أ؛مد بن حنبل رواه عن أبي بكر الأعين[1]، وكان أحمد يجتنب المنكرات، فلو كان منكراً لما رواه.

وقد صح عند أهل مكة فقهائهم وعملائهم، ومن روى عنهم، وصحته استفاضت وانتشرت حتى بلغت حدَّ التواتر.

وسئل رحمه الله: التكبير عند ختم القرآن أواخر السور في الصلاة هل هو سنة.

(١) هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن أبي عتاب الحسن بن طريف البغدادي، أحد الأثبات، حدث عن روح بن عبادة ويزيد بن هارون والفريابي وطبقتهم، وكان ثقةً، روى عنه مسلم في مقدمة صحيحه، والبغوي، وثقة ابن حبان، توفي سنة ٢٤٠هـ. تذكرة الحفاظ ٢/٢٥٢.

فأجاب: نعم هو سنة في الصلاة: كما نصَّ عليه الشافعي وشيخه سفيان بن عيينة وابن جريج، وغيرهم، ونقله جماعةٌ من أئمتنا المتأخرين كأبي شامة والسخاوي والجعبري وابن جملة خطيب المسجد الأموي، وناهيك بأبي شامة الذي قال عنه التاج الفزاري: عجت له كيف قلّد الشافعي!.

وأفتوا به في صلاة التراويح، وردوا على من أنكر ذلك[1]. أهـ

وسئل رحمه الله[2]: عن استحباب التكبير من سورة والضحى إلى الآخر، هل هو مختص بمن يختم القرآن من أوله إلى أخره أو عام فيمن ابتدأ القراءة منها أو مما قبلها؟

فأجاب بقوله: الذي حكاه الزركشي عن الحليمي والبيهقي وابن الجزري في النشر عن طوائف من السلف وجمعٍ من متأخري الشافعية، وأطال فيه أن من سنن القراءة لتكبير في آخر سورة والضحى إلى أن يختم، وهي قراءة أهل مكة، أخذها ابن كثير عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ، ورواه ابن خزيمة، وروى الحاكم في المستدرك ونحوه وصححه.

إذا تقرر ذلك علم أن التكبير يقيد بتلك السورة سواءٌ أقرأ قبلها شيئاً أم لا.

أما السادة الحنابلة فقد عملوا بالتكبير أخذاً بالروايات في ذلك وروايةأحمد بن حنبل عن أبي بكر الأعين عن البزي.

قال الشيخ الإمام شمس الدين المقدسي في كتاب الفروع[3]: وهل يكبر لختمةٍ من والضحى أو ألم نشرح آخر كل سورةٍ.

قال: فيه روايتان ولم يستحبه شيخنا كقراءة الجمهور غير ابن كثير وقيل ويهلل، وعنه لا يجوز.

قال الشارح الشيخ علاء الدين المرادي تحت قوله: "فيه روايتان": إحداهما يكبر آخر كل سورة من والضحى، وهو الصحيح، قال في المغني والشرح: "واستحب أبو عبد الله عند آخر كل سورة من والضحى إلى أن يختم، وجزم به ابن رزين في شرحه، وابن

(١) الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي، ص ٢٢٤.
(٢) الفتاوي الكبرى لابن حجر الهيتمي ٥٢/١.
(٣) ٥٣٣/١.

حمدان في رعايته الكبرى، وقدمه ابن تميم، والمصنف في آدابه، والرواية الثانية يكبر من أول ألم نشرح، اختاره المجد"[١].

قلت – القائل علاء الدين المرادي: قد صح هذا، وهذا عمن رأى التكبير، فالكل حسنٌ، وتحرير النقل عن القراء أنه وقع بينهم اختلافٌ، فرواه الجمهور من أول ألم نشرح، أومن آخر والضحى على خلاف. أهـ

قال ابن الجزري: ورأيت أنا غير واحدٍ من شيوخنا يعمل به ويأمر من يعمل به في صلاة التراويح، وفي الإحياء في ليالي رمضان، حتى كان بعضهم إذا وصل في الإحياء إلى "الضحى" قام بما بقى من القرآن في ركعةٍ واحدة يكبر إثر كل سورةٍ، وفعلت أنا كذلك لما كانت أقوم بالإحياء إماماً بدمشق ومصر.

قال: ولما منَّ الله عليَّ بالمجاورة بمكة ودخل شر رمضان فلم أر أحداً ممن صلى التراويح بالمسجد الحرام إلا يكبر من الضحى عند الختم، فعلمت أنها سنةٌ باقيةٌ منهم إلى اليوم[٢].

وليعلم أنَّ التكبير ليس من القرآن، بمعنى أنه ليس آية من آياته، ولا يكتب في المصحف وإنما يلحق بالقرآن من حيث النقل والأداء، ومثله كلمة "آمين" فإنه يسن الإتيان بها في الصلاة بعد الانتهاء من قراءة الفاتحة، وليست بقرآن ولا تكتب في المصحف.

(١) المغني لابن قدامة ١٧٢/٢.
(٢) النشر في القراءات العشر ٤٢٧/٢.

خاتمة

وفي ختام للبحث وصلت إلى نتائج مهمة أجد من الحسن تلخيصها في عدة نقاط، وهي:

١- تكبير ختم القرآن أمر مسنون وقد فعله النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، واقتدى بهم التابعون وهكذا حتى نقل إلينا بأسانيد صحيحة متواترة.

٢- ورد التكبير من قراءة ابن كثير المكي من رواية البزي، وهو فعل أهل مكة، حيث اشتهر واستفاض عنهم، وكانوا يكبرون في صلاة التراويح عند ختم القرآن، ومازالوا يفعلونه في القرن الثاني وحتى المائة التاسعة كما روى عنهم ذلك.

٣- تكبير ختم القرآن يكون بعد سورة والضحى إلى آخر القرآن كما ورد من فعل الرسول ﷺ.

٤- يتصل التكبير بعلم القراءات وعلوم القرآن، حيث نقل إلينا عن طريق نقل القراءات القرآنية.

٥- ورد تكبير ختم القرآن عندا لفقهاء في المذهب الشافعي، ومذهب أ؛مد بن حنبل، واستحسنوا فعله، لأنه مروي عن النبي ﷺ.

٦- ليس التكبير من القرآن ولا يثبت في المصحف لأنه ليس منه، وإنما يحلق به من حيث كونه منقولاً معه عن طريق القراءات القرآنية.

أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت في إظهار الحق في هذه المسألة ذوداً عن كتابه العظيم، وأن ينفع بهذا البحث طلبة العلم إنه سميع قريب مجيب، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم.

فهرس المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ط ثالثة، ١٩٥١.

٣- الإقناع في القراءات السبع، لابن الباذش، ت: عبد ا لمجيد قطائ، مركز البحث العلمي، دار إحياء التراث، جامعة أم القرى.

٤- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، مصورة دار إحياء التراث العربي.

٥- التبصرة في القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، الدار السلفية، باكستان.

٦- تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، مكتبة المثنى، بغداد.

٨- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار إحياء التراث العربي.

٩- جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ثانية ١٣٧٢هـ.

١٠- سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان السجستاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ.

١١- سنن الدارقطني لعلي بن عمر الدار قطني، تحقيق عبد الله يماني، دار المحاسن، مصر.

١٢- سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني، المكتبة العلمية.

١٣- سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

١٤- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت.

١٥- الضعفاء الكبير للعقيلي، طبعة عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية.

١٦- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري ت: برجستراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٧- الفتاوي الحديثية، لابن حجر الهيتمي، دار الفكر، بيروت.

١٨- الفتاوي الكبرى لابن حجر الهيتمي، دار الفكر، بيروت.

١٩- فتح البارئ بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.

٢٠- مباحث في علوم القرآن. الشيخ مناع القطان. مكتبة المعارف، السعودية، ط ثانية ١٤١٧هـ.

٢١- مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، جامع عبد الرحمن القاسمي النجدي، الرياض.

٢٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية ا لأندلسي، قطر، ط١، ١٣٩٨هـ.

٢٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، بيروت، دار الفكر.

٢٤- معرفة القراء الكبار، للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٥- المغني لابن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٦- مغني المحتاج إلى معرفة معاني المنهاج، للعلامة محمد الشربيني، المكتبة الإسلامية.

٢٧- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨- النشر في القراءات العشر، للحافظ محمد بن الجزري، تحقيق محمد ابن دهمان، دمشق، مطبعة التوفيق، ١٣٤٥هـ.